مجلد 5 ع3 (عدد 13) / جوان 2020 –شوال 1441 السنة السادسة ISSN: 2352-9770 / EISSN: 2602-5337

قراءة تاريخية في مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني

Historical reading in the memoirs of Sultan Abdul Hamid II

فاطمة الزهراء رحماني

جامعة الجزائر 02

البريد الإلكتروني: fat.histoiremoderne@gmail.com

تاريخ الاستلام : 2019-10-06 تاريخ القبول : 2019-11-03

الملخص

- يعدّ السلطان عبد الحميد الثاني الذي تولى حكم الدولة العثمانية من 1876-1909، من الشخصيات الجديرة بالبحث والدراسة، خاصة في ظل الجدل والنقاش الذي أثير حول شخصيته وأسلوب تعامله مع أحداث عصره. فبقدر ما كتب عن إنجازاته ومشاريعه الحضارية، بقدر ما حاولت كتابات أخرى تشويه أعماله ومجهوداته، وإلصاق به العديد من الإتهامات. وبين هذا وذاك؛ برزت مذكرات هذا السلطان لتكشف عن الوقائع التاريخية التي عايشها بنفسه وتفاعل معها، فهي تصور خواطره وأفكاره ومواقفه تجاه كثير من القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية على الصعيدين الداخلي والخارجي. وفي هذا الإطار، تندرج هذه المذكرات ضمن المصادر العثمانية التي لا يمكن الاستغناء عنها في الكتابة التاريخية حول الفترة الأخيرة من أيام الدولة العثمانية.

وبناءا على ذلك؛ جاءت هذه الدراسة لتغوص في عمق هذه المذكرات، من أجل تقصي الظروف السياسية والاقتصادية والإجتماعية التي واكبت ظهور السلطان عبد الحميد الثاني في الداخل والخارج، مع التركيز على آرائه ومواقفه اتجاه تلك الظروف، ورصد تطلعاته ومحاولاته للنهوض بالبلاد، رغم كثافة الضغوط المختلفة التي كانت تحول بينه وبين تحقيق كل أهدافه، مع الإشارة إلى بعض أعماله وإنجازاته في بعض المجالات.

الكلمات المفتاحية: السلطان، عبد الحميد الثاني، الدولة العثمانية، المذكرات.

Astract

— Sultan Abdul- Hamid the 2 nd who was the leader of ottoman empire between 1876- 1909 considered from the personalites that should be searched and studied especially after the conflit and disussion that were around hem and his method of dealing whith his events time, as much a they whrote about his a chievements and projects as much some whirtings tried to destroy his works and put on him many accusation, and between this and that. His memo was emerged to show the real historical events that he was living hemself, it shows us his reflection and thoughts to many political, economic and social deals in the interioe and exterior side, and these menos efer to ottoman resources that we strongly need in historical writing about the last period of ottoman empire.

So these studies came to dive deeply in there memos in order to discover the political, economic and social condition that was during the leadership of Abdul Hamid the 2 nd. Inside and outside, with cosontrating on his opinio and attitudes to those conditiotions , and observe his aspirations and tries to stand the country up dispte of persure that made an obstacle between hem, and his goals, whith mention some of his works and achievments in some fields.

Key words: Sultan, Abdul_ Hamid, Ottoman Empire , Memoirs.

المقدمة

ترك السلطان عبد الحميد الثاني بعد أن تم إقصائه من العرش العثماني سنة 1908 بصمة للتاريخ تمثلت في مذكراته، حيث سجل فيها حقائق ومعلومات تاريخية عن التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي ميزت فترة حكمه والتي دامت 32 سنة من 1876 إلى 1908م. فقد عاش في الأيام الاخيرة من حياة الدولة العثمانية التي منيت بضربات متتابعة وقاصمة من الداخل والخارج على حد سواء. زيادة على ذلك؛ أورد السلطان عبد الحميد في مذكراته العديد من الحجج والدلائل التي هدف منها إلى الدفاع عن نفسه أمام الهجمات الشديدة من دعايات وافتراءات كان قد تعرّض لها، والتي وصفته بالسلطان الأحمر والقاتل والظالم وغيرها، في الوقت الذي عرّف بسعيه لإعادة مجد الدولة العثمانية من خلال اعتماده للعديد من الإصلاحات التي شملت جميع ميادين الحياة.

بناءا على ذلك؛ جاءت هذه الدراسة من أجل مرافقة رحلة السلطان عبد الحميد الثاني في دهاليز الماضي في أواخر لحظات عمره، ومشاركته الذكريات التي تحيا في ذهنه حين كان متجولا في قصره. ليس من أجل الانحياز له فهذه ليست غايتنا، وإنّما الغرض يكمن في تقصي الظروف الداخلية والخارجية التي واكبت ظهور هذا السلطان من خلال المذكرات التي كتبها. مع التركيز على آرائه ومواقفه اتجاه تلك الظروف، ورصد تطلعاته ومحاولاته للنهوض بالبلاد، رغم كثافة الضغوط المختلفة التي كانت تحول بينه وبين تحقيق كل أهدافه، مع الإشارة إلى بعض أعماله وإنجازاته في بعض المجالات. وعليه نطرح التساؤلات التالية: من هو السلطان عبد الحميد الثاني؟ وماهي مميزات عصره؟ وماهي الدوافع التي جعلته يكتب مذكراته؟ وفيما تكمن محتويات مذكراته؟.

2- التعريف بالسلطان عبد الحميد الثاني

1.1- النشأة والتكوين

ولد السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1842، وهو الابن الثاني للسلطان عبد المجيد الأول. فقد أمه ولم يتجاوز عمره 07 سنوات. تلقى منذ صغره تعليما منتظما في القصر السلطاني على أيدي نخبة مختارة من أشهر رجال زمنه علما وخلقا، حيث تعلم اللغات العربية والفارسية، ودرس التاريخ وأحب الأدب، ونظم بعض الأشعار باللغة التركية العثمانية، وتدرب على استخدام الأسلحة، وأتقن إصابة الاهداف بالمسدس، كما أتقن النجارة والتجارة. عرّف بالصمت ودوام التفكير والعمل الشاق والبعد عن اللهو، ومداومة الصلاة والأذكار والاحترام الشديد للعلماء والأولياء الصالحين، كما عرّف بالبساطة الشديدة[1].

زار مع عمه السلطان عبد العزيز أوروبا من 21 جوان إلى 7 أوت 1867، وبالتحديد فرنسا وإنجلترا وبلجيكا والدولة النمساوية المجرية. ومن خلال هذه الرحلة أطلع عبد الحميد على عدّة أمور انعكست على فترة حكمه كلها منها: الحياة الأوروبية بكل ما فيها من طرق معيشية غريبة وأخلاقيات مختلفة وشكليات، بالإضافة إلى التطور الصناعي والعسكري وبخاصة في القوات البرية الفرنسية والألمانية في القوات البحرية البريطانية، فضلا عن تأثير القوى الاوروبية على سياسة الدولة العثمانية. كما أدرك عبد الحميد الثاني بعد رحلته هذه أنّ فرنسا دولة لهو، وإنجلترا دولة ثروة وزراعة وصناعة، أما ألمانيا فهي دولة نظام وعسكرية وإدارة وكان إعجابه بألمانيا كثيرا.

زيادة على ذلك؛ ساهمت هذه الرحلة في اهتمام عبد الحميد أثناء توليه الحكم بإدخال المخترعات الحديثة وفي مختلف ميادين الحياة تعليمية وصناعية ووسائل اتصالات وعسكرية. كما أثرت عليه وجعلته يتبع سياسة استقلالية تجاه أوروبا فلم يعرف عبد الحميد تأثير أي حاكم أوروبي عليه، مهما كانت صداقته، ومهما كانت درجة التقارب بينهما[2].

1.2- مميزات عصره

تولى السلطان عبد الحميد الثاني الحكم في الفترة الممتدة ما بين 1876-1908، وهي فترة حرجة من عمر الدولة العثمانية. إذ كانت تمر بأصعب مراحلها على المستوى الخارجي والداخلي. أما خارجيا، فقد اتفقت الدول الغربية واليهود على الإجهاز على الدولة التي أسموها "تركة الرجل المريض"، ومن ثم تقاسم أجزائها، فدبروا لها المكائد وحاكوا المؤامرات والدسائس ضد السلطان ودولته. وأما داخليا؛ فقد منيت بهزائم عسكرية، أفقدتها شطرا لا يستهان به من ممتلكاتها في أوروبا وآسيا وإفريقيا أمام الزحف الاستعماري الأوروبي، مخلفة ورائها أزمة إقتصادية خانقة، وجيشا ضعيفا[3]. بالإضافة إلى انتشار الأفكار والدعوات القومية والجمعيات ذات الأهداف السياسية كجمعية الاتحاد والترقي[4] بإيحاء من الدول الغربية والحركة الصهيونية[5] المعادية. إلى جانب ظهور شخصيات من الدولة لعبت دورا خطيرا في تغريب الدولة، فقد فُتنوا بأوروبا وبأفكارها، مما جعلهم يطالبون بوضع دستور للدولة على نمط الدول الأوروبية، الأمر الذي أجبر السلطان على أن يستهل حكمه بتطبيق الحكم الدستوري أو ما عرّف في التاريخ العثماني بالمشروطية، لكن سرعان ما تمكن من تعطيله[6].

وشهد عهد السلطان عبد الحميد إصلاحات في مختلف مرافق الدولة وبخاصة في مجالات التعليم والصحة والمواصلات وكذلك في المجال العسكري[7]. ففي عهده بلغ التعليم الحكومي أوج مراحله حيث أقيمت مدارس مختلفة منها: مكتب ملكية (كلية العلوم السياسية)، مكتب الحقوق(كلية الحقوق)، دار الفنون (كلية الآداب والعلوم)، صنايع نفيسة مكتبي (كلية الفنون الجميلة)، ملكية الهندسة(كلية الهندسة المدنية)، دار المعلمين العالية وكليات التجارة والزراعة والطب والكلية العسكرية، ودار المعلمات، وفتحت مدارس ابتدائية ورشدية (متوسطة) وإعدادية على غرار المدارس الأوروبية. ولم تقتصر هذه المدارس على العاصمة والمراكز الكبيرة فحسب؛ بل تعدّت إلى الأقضية والمراكز الصغيرة أيضا.

علاوة على ذلك؛ أنشأ في عهد السلطان عبد الحميد عدد من المتاحف والمكتبات العامة والمستشفيات ودور العجزة وشبكات الري، كما انجز القسم الأكبر من سكة حديد الحجاز وخطوط التلغراف ونظمت المواصلات والنقل بفضل تأسيس الترام الكهربائي في مختلف المدن فضلا عن إقامة معامل مختلفة. كما أخذ الجانب العسكري نصيبه من الاهتمام إذ جلب السلطان عبد الحميد متخصصين من ألمانيا لتنظيم الجيش وتدريبه على مختلف الأسلحة والنظم العسكرية الحديثة وجهز القوات المسلحة بأسلحة حديثة متطورة وأقام مدارس عسكرية مختلفة.

خلع السلطان عبد الحميد يوم 27 أفريل 1909 إثرى مؤامرة حيكت ضده اشترك فيها اليهود وجمعية الاتحاد والترقي، وتم إرساله إلى إحدى المدن اليونانية المعروفة بسالونيك، أين بقي فيها تحت الإقامة الجبرية. ثم تم نقله إلى احد قصور استابول النائية، حيث توفي بتاريخ 10 فيفري 1918 عن عمر يناهز الثامنة والسبعين[8].

2 - التعريف بمذكرات السلطان عبد الحميد الثاني

ترك السلطان عبد الحميد الثاني مجموعتين من الخواطر تشهد لحاله وحال الدولة العثمانية في مرحلة الاحتضار الأخير، نقل الأستاذ الدكتور محمد حرب المجموعة الاولى إلى العربية ونشرها في دمشق تحت عنوان "**مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار**" سنة 1978. وصدرت المجموعة الثانية بالعربية في بيروت بدون ذكر اسم المترجم تحت عنوان "**السلطان عبد الحميد الثاني مذكراتي السياسية 1891-1908**". وفيما يلي استعراض لخصائص هاتين المجموعتين على حدى:

2.1- السلطان عبد الحميد الثاني مذكراتي السياسية 1891-1908

تم إصدار هذه المذكرات لأول مرة من قبل دار "**حركت**" للطباعة والنشر باستانبول في ديسمبر عام 1974، باللغة التركية، وهي عبارة عن ملاحظات

سياسية نقلها عن السلطان عبد الحميد إثر عزله عن العرش عام 1909 "**علي وهبي بك**" الذي ترجمها بدوره إلى الفرنسية ونشرها بها أثناء حياة هذا السلطان[9]. أما عن نشر هذه المذكرات باللغة العربية فقد تكفلت بها مؤسسة الرسالة بلبنان، التي أصدرتها سنة 1977[10].

أما عن مضمون هذه المذكرات؛ فهي تشتمل على خمسة أقسام أو فصول متسلسلة ومترابطة مع بعضها البعض شاملة للفترة الممتدة ما بين 1891-1908، حرص السلطان عبد الحميد الثاني من خلالها على تبرير وتحليل سياساته وطريقة معالجته لمعظم الأمور والإشكاليات التي حصلت في عهده والأسباب التي دفعته إلى اتخاذ هذا النوع من السياسة. وفيمايلي تفصيل لما جاء في الأقسام الخمسة:

القسم الأول ويضم 51 عنوانا، خصها السلطان عبد الحميد الثاني للحديث عن السياسة الداخلية التي انتهجها من أجل التصدي للتحديات والمشاكل التي واجهته طيلة حكمه. فبعد أن أورد معلومات حول ظروف توليه الحكم، والتي من بينها مقتل عمه السلطان عبد العزيز على يد رجال من القصر ثم عزل أخيه مراد بعد إصابته بمرض عقلي، واشتراك الدولة العثمانية في حرب خاسرة مع روسيا مما أدى إلى إفلاس الدولة وانتشار عدد كبير من الهجرات الداخلية وفقدان جزء كبير من ممتلكات الدولة العثمانية. ضف إلى ذلك؛ انتشار الأفكار الغربية في الوسط العثماني من خلال بعض رجال الدولة المتحيزين لها، كالفكر القومي والديموقراطية والحكم الدستوري. يفرد السلطان جزءا كبيرا من عناوين هذا القسم للحديث عن المسؤولية التي أخذت على عاتقه والمتمثلة في منع سقوط هذه الخلافة والمحافظة على تماسكها واستعادة مكانتها السابقة، ومجابهة تلك الأفكار التي من شأنها أن تودي بحياة الدولة العثمانية إلى الهلاك[11].

من أهم التحديات التي جابهت السلطان عبد الحميد الثاني طيلة حكمه، والتي عمل على اتخاذ سياسة حازمة اتجاهها هو الحكم الدستوري. إذ عمل على تعطيل الدستور بعد أن أجبر على اعتماده بمجرد اعتلائه العرش. حيث اعترف بأنّه كان ضد هذا الحكم الذي يعرف في المصطلح العثماني باسم المشروطية أي الاشتراط على الحاكم بتحديد سلطاته، على اعتبار أنّ هذا الفكر وافد، وأنّ الدستور من وجهة نظره مجرد تقليد غربي وتطبيقه في السلطنة يعدّ محاكاة شكلية دون توفر الشروط المناسبة والظروف الموضوعية لهذا التقليد[12]. بمعنى آخر كان السلطان يرى بأنّ ما هو مناسب لدول تتمتع بالوحدة القومية والدينية قد لا يكون مناسبا لدول تتصف بالتنوع السكاني ولا تقبل طوائفها بتبني لغة واحدة او التنازل عن استقلالها الذاتي مما سيجعل من تطبيق المساواة المطلقة يعني انقساما وقتالا وفوضى، فالدواء قد يتحول إلى داء.

وفي رأيه أنّ المطالبين العثمانيين بالدستور يقلّدون الغرب من غير إدراك للظروف المختلفة بين تطبيق الديمقراطية في بريطانيا حيث لا يوجد في البرلمان الإنجليزي ممثل واحد عن الهند أو مصر، وما يراد للدولة العثمانية التي تحوي قوميات متعدّدة سيكون تمثيلها جميعا في الوقت الذي تتدخل فيه الدول الكبرى لحمايتها وبالاعلى الدولة وعنصرها الاسلامي، وكان يرى اتفاقا بين الدول الغربية الكبرى - بما فيها حليفته الظاهرية ألمانيا- على تقسيم الدولة العثمانية وهي المشكلة الرئيسية التي كانت تواجه بلاده، ولم يكن يعتقد أن تطبيق الدستور سيحول بدون وقوع هذه الكارثة أو سيكون علاجا لها[13].

في موضع آخر من هذه المذكرات؛ أوضح السلطان عبد الحميد موقفه الصريح والصارم اتجاه محاولات الترغيب والترهيب التي اعتمدتها الدول الأوروبية من أجل اقتطاع أراضي الدولة العثمانية. حيث استنكر تلك المحاولات وقابلها بسياسة إنشاء السكك الحديدية لربط العالم الإسلامي ببعضه البعض[14]، وجمع المسلمين على كلمة واحدة من خلال ترسيخ فكرة الجامعة الإسلامية[15]، بالإضافة إلى نظام الجوسسة والمخابرات الذي أوجده من أجل اصطياد المؤامرات

والدسائس التي كانت تحيكها الدول الاوروبية؛ بل وحتى رجال الدولة[16]. وفي هذا الشأن أيضا؛ لم يغفل السلطان إظهار موقفه اتجاه للنشاط الصهيوني في الدولة العثمانية، حيث أبدى معارضة شديدة نحو الهجرات اليهودية من جهة، ورفض مقترحات الصهاينة الهادفة إلى احتلال فلسطين وإقامة دولة يهودية بها[17].

علاوة على ذلك؛ أورد السلطان محاولات الصهاينة للقضاء على الدولة العثمانية، بعد أن عاينوا موقف السلطان الرافض لتحقيق آمانيهم، مما دفعهم إلى إسقاطه وإسقاط الخلافة الإسلامية العظيمة التي عاش المسلمون في كنفها قرون فحاصروه اقتصاديا وألبوا عليه رجال جيشه وافتعلوا الثورات والنعرات القومية من عرب وأكراد وأرمن وقاموا بعمل الدعاية التي تصوره بالسلطان الاحمر القاتل المستبد ثم نشأت حركة الاتحاد والترقي من رحم الماسونية وظلوا يعملوا ضده حتى تم افتعال الفتن والقتل ومحاصرة السلطان وإجباره على التنازل عن الحكم في عام 1908.

القسم الثاني ويضم 43 عنوانا، فقد أورد فيه السلطان وجهة نظره اتجاه الشؤون الخارجية وبالتحديد اتجاه الأطماع الاوروبية التي كانت تسعى إلى اقتطاع أجزاء جديدة من أراضي الدولة العثمانية، موضحا أنّ الدول الأوروبية قد اعتمدت عدّة وسائل لتحقيق تلك الغاية وذلك بأن افتعلت المسألة الأرمينية[18] والمسألة اليهودية، بالاضافة إلى إثارة النعرة القومية بين المسلمين أنفسهم من خارج الاناضول في محاولة منه لفصلهم عن اسطنبول. ومن جملة ما أعرب عنه السلطان عبد الحميد في هذه النقطة هو رؤيته للمواقف الأوروبية المتآمرة والطامعة، ففي حين استنكر اصرار النواب الفرنسيين أن تكون فرنسا الحاكم الوحيد في مصر، توقع أنّه لمن يمض وقت طويل حتى ينجح الانجليز في ضرب النفوذ الفرنسي والانفراد بالسيطرة على قناة السويس، كذلك اتهم انجلترا بأنّها أخلت بوعودها عند احتلالها لمصر أي الوعود بالاستمرار في تطبيق الفرمانات العثمانية وعدم احكام السيطرة عليها وعدم المطالبة بأي امتيازات كذلك اتهم ايطاليا بأنّ اطماعها في ليبيا جعلتها تقف مع انجلترا[19].

زيادة على ذلك؛ أشار السلطان عبد الحميد إلى ضرورة الاستفادة من الخلافات القائمة بين الدول الأوروبية من جهة، والحذر من الدسائس والمؤامرات التي كانت تحيكها تلك الدول هنا وهناك كالإنجليز وروسيا[20]، في المقابل أشاد بالألمان وبصفاتهم وأخلاقهم، ملفتا إلى ضرورة كسبها لصالح الدولة. على أنّ السلطان سرعان ما غير نظرته هذه، حيث يقول أنّ الاستفادة من الألمان في تسوية أوضاعنا الإقتصادية فكرة صائبة، لكن لا يمكن أبدا قبول فكرة إنشاء مستعمرات ألمانية على طول خط حديد بغداد[21].

القسم الثالث ويضم 17 عنوانا، بين فيها السلطان عبد الحميد نظرته إلى الإسلام، حيث اعتبره الوسيلة الوحيدة الكفيلة بالمحافظة على الدولة العثمانية والعالم الإسلامي من الانهيار، وهنا يدعوا إلى ضرورة الإلتزام بالشريعة الإسلامية، وإلى التعاليم والمبادئ الصحيحة للاسلام، فعلى حد قوله: " إن كنا نريد أن نحيا من جديد وأن نستعيد قوتنا ونبلغ عزتنا التي كنا فيها، علينا أن نرجع إلى المعين الذي أخذنا منه تلك القوة، فالخير كل الخير في رجوعنا إلى اسلامنا والى شريعتنا، والشر كل الشر في تقليدنا للحضارة الأوروبية الزائفة"[22]. ومن جهة أخرى دافع السلطان في هذا الجزء من مذكراته على ما اتهم به الإسلام من قبل الأوروبيين، من تعصب وقسوة وضعف، وعدم التسامح مع الفئات الغير المسلمة، معترفا أنّ هناك بعض البدع والخرافات قد دخلت في الاسلام، لكن الأسس الثابتة بقيت ساطعة ثابتة[23].

زيادة على ذلك؛ عمل السلطان من خلال هذا الجزء من المذكرات على ترسيخ مفهوم الوحدة أو الجامعة الاسلامية محاولا استرجاع المكانة الروحية للخلافة الاسلامية، وجمع كلمتهم وتوثيق الصلة بينهم وبين الوقوف صفا واحدا في مواجهة الدول

الاستعمارية. فقد سعى إلى كسب ولاء تأييد ملايين المسلمين خارج الدولة العثمانية وحملهم على الوقوف إلى جانبه من خلال إثارة مشاعرهم الدينية ضد كافة القوى الإستعمارية التي تحاول النيل من الدولة العثمانية والعالم الإسلامي[24]. حيث آمن السلطان عبد الحميد بوحدة هذا الأخير وبتقوية الروابط بين المسلمين في كل مكان، لأنه كان يرى بأن هؤلاء في جميع أنحاء العالم هم الامتداد الطبيعي لمسلمي الدولة العثمانية ولما دام الإسلام متميزا. ولأن الجامعة الإسلامية لا تقوم على أساس تفوق الجنس أو اللغة، فإن السلطان لم يستثن من دعوته تلك أحدا مهما كان مذهبه او قوميته أو موقعه الجغرافي. بالإضافة إلى أنّه لم يحصرها في العثمانيين كما حدث في فترة التنظيمات التي اوجدت فكرة إنشاء أمة عثمانية عن طريق منح الجميع مسلمين وغير المسلمين المساواة كمبدأ للتضامن[25]. لذلك نجد السلطان يستهدف من خلال تبنيه الجامعة الاسلامية استرجاع المكانة الروحية لمنصب الخلافة في نفوس جميع المسلمين في أي مكان باعتبارها رمز إسلامي للوحدة والتقدم، والتي يمكن لها أن تدعم أواصر الأخوة الاسلامية بين كل من مسلمي العالم في الصين والهند وأواسط إفريقيا وغيرها.

ومما يجب الإشارة إليه أنّ السلطان عبد الحميد عمل على تنفيذ ما دعا إليه بدءا بحياته الخاصة حيث تميزت بالتقشف والزهد ونبذ مظاهر العظمة والأبهة ومزاولته للشعائر الدينية، كما أحاط نفسه بالفقهاء والعلماء من الأقطار الإسلامية.ليطبقها فيما بعد في العالم الإسلامي من خلال تأسيسه للمدارس والمعاهد الدينية لتخريج الوعاظ وإرسالهم إلى الأقطار الإسلامية البعيدة لتلقين سكانها المبادئ الأساسية للدين الإسلامي،وتوعيتهم وتحسيسهم بأهمية التضامن بين المسلمين،كما كان ينفق بسخاء على مختلف المرافق الدينية والتعليمية الأصلية. كما دعا إلى ضرورة رفع المجتمع المسلم لراية الإسلام كي تتحد عناصره العرقية المختلفة ومن ثم تكون قادرة على الصمود أما الغرب بتياراته الفكرية[26].

القسم الرابع ويضم 16 عنوانا، أبدى فيها السلطان عبد الحميد رفضه لعملية التقليد للحضارة الغربية، إذ كان يرى في تلك الإصلاحات والأفكار المقتبسة من أوروبا والتي توغلت في أوساط المجتمع بدون تحفظ خطرا على المسلمين من حيث وحدتهم، فهي تخرب عقولهم وقلوبهم، وتجعلهم يحيدون عن تعاليم الإسلام الحقة[27]. ومنه أوضح السلطان أنّه لا يريد من الغرب الحضارة لأنّه يرى أنّ للشرق حضارته الاسلامية المتكاملة المتفوقة على حضارة الغرب. ورغم هذه النظرة المتحفظة إلاّ أنّه لم يخف دعوته إلى اقتباس العلوم والتقنيات وأسباب القوة من أوروبا وتطبيقها في المشاريع الإصلاحية، وحجته في ذلك أنّ الإسلام لا يمانع أي تجديد، شريطة أن يكون مطابقا لمبادئ الشريعة الاسلامية، فلطالما كان الإسلام دين حضارة، وقد استدل في ذلك بالحضارة الإسلامية التي كان عليها المسلمون خلال القرون الوسطى،حيث أظهروا براعتهم في شتى نواحي العلوم والفنون[28].

من جهة أخرى؛ نوه السلطان إلى أنّه يجب السير على خطى الإصلاح يكون حسب حاجة الدولة العثمانية وليس تنفيذا لأوامر الدول الأوروبية، ذلك لأنّ هذه الاخيرة وما تصدره من أفكار حضارتها ليس سوى جزءا كبيرا من مشروعها الاستعماري الهادف إلى تفتيت الدولة العثمانية والقضاء عليها، والسيطرة على ممتلكاتها. إلى جانب أنّ ما يصلح للدول الأوروبية المتكونة من عنصر واحد قد يكون سما للدولة العثمانية التي تتكون من عناصر شتى من السكان[29].

وفي هذا القسم إشارات لموقف السلطان عبد الحميد من المرأة، فنجده يدافع عن المرأة المسلمة أمام التهم التي وجهت إليها من قبل الاوروبيين، ويظهر ذلك من خلال المقارنة التي عقدها بين المرأة المسلمة والغير مسلمة[30]. فيعتبر الأولى مثالا للصدق والإخلاص والوفاء والاحترام والأخلاق الفاضلة، مشيرا إلى دورها الإجتماعي القائم على صيانة بيتها وأسرتها. في حين؛ يندد بأخلاق المرأة الأوروبية التي منعتها الحرية المفرطة الممنوحة لها من تعففها بل وحتى من أنوثتها على حد تعبيره. ليس

هذا وحسب؛ بل سعى السلطان عبد الحميد من خلال تلك الإشارات إلى توضيح المكانة والقيمة التي منحها الإسلام للمرأة، داعيا الرجال إلى حسن معاملتها. في المقابل أبدى السلطان موقفا صارما اتجاه عمل المرأة، حيث استنكر عليها تدخلها في الشؤون السياسية، واشتراكها في النوادي والجمعيات مثل ما يحدث في الغرب، واعتبر أنّ مجالها الطبيعي إنّما هو تربية أولادها ومساعدة زوجها.

القسم الخامس ويضم سبعة عناوين، دافع من خلالها السلطان عبد الحميد الثاني عن بعض من ملامح شخصيته التي تعرّضت للنقد من قبل الأوروبين لا سيما الصحافة الاوروبية. حيث نجده يفسر طبيعة شخصيته المنزوية عن الآخرين والشكاكة والحذرة والشحيحة، من أنّ الظروف التي نشأ فيها وكل ما تعرّض له في حياته أثر عليه وعلى تصرفاته[31]. كما حاول تفنيد رضوخه في حكم الإمبراطورية العثمانية لبعض أركان القصر، مؤكدا أنّه لم يقع تحت تأثير أي رجل استشاره، وأنّ القرارات المعتمدة هي دائما قراراته الفردية. وفي موضع آخر يدافع عن نظام الجوسسة الذي أوجده، فبالرغم من أنّه يعترف بعيب هذا الأمر وتنافيه عن الأخلاق الحميدة والفاضلة، فإنّ يؤكد أنّه لولا هذا النظام لما نجا من تلك المؤامرات والدسائس التي كانت تحاك ضده وضد دولته[32].

وعليه فإنّ هذه المذكرات بأقسامها الخمسة مجتمعة تشكل سلسلة مترابطة ومنسجمة من الملاحظات التي تظهر بوضوح شخصية السلطان لا كشخص سياسي يهتم بسياسة ذلك العهد فحسب، وإنما تبين نظرته وتصوره الديني والعالمي. كما أنّها تكشف لنا سياسته من أجل استعادة مكانة الدولة العثمانية والتي يمكن حصرها في ثلاث نقاط؛ الأولى تتمثل في السعي نحو إحداث توازن فعال في مواجهة دول أوروبا الكبرى وعلى رأسها إنجلترا وروسيا وفرنسا. الثانية وتتمثل في توفير الأمن والسكينة في الداخل بتوحيد المجتمع العثماني حول أساس الدين. أما الثالثة فهي استخدام الخلافة كعنصر تهديد في وجه الدول المستعمرة وخاصة التي توجد فيها جالية مسلمة.

2.2- مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار

نشرت هذه المذكرات لأول مرة في مجلة "**عطارد**" باستانبول باللغة التركية العثمانية في العدد الأول من المجلد الأول الصادر في تاريخ 6 جانفي 1918 واستمر نشرها تباعا في هذه المجلة حتى العدد 170 من المجلد الثاني بتاريخ 8 مارس 1918، عن نسخة مخطوطة تناقل بعض الخواص استنساخها من النسخة التي أملاها السلطان عبد الحميد على مصاحبه "علي محسن بك" أثناء اعتقال السلطان في قصر بيلربي باستانبول، إلاّ أنّ مجلة "**عطارد**" لم تتمكن من نشر كل المذكرات، إذ توقفت المجلة بعد العدد 19 من المجلد الثاني أي بعد عددين فقط. وفي عام 1921 أصدرت دار "**جهان كتابخانة سي**" استانبول -بإذن خاص من رئيس تحرير مجلة عطارد- ما نشر من مذكرات في ذات المجلة، مع كتابة مقدمة لها وبعض دراسات لتوضيح بعض النقاط التي وردت في المذكرات والتي كانت تهم القارئ العثماني في ذلك الوقت مثل: تونس ومصر 1881-1882، وبلغاريا والاضطراب في الروملي الشرقية 1885-1887، والاستقلال الذاتي لكريت 1897 وغير ذلك. لتخرج هذه الطبعة في 72 صفحة تحت عنوان " **خاطرات سلطان عبد الحميد خان الثاني**"[33].

في عام 1926 تم نشر خواطر متفرقة للسلطان عبد الحميد في مجلة "**جمعية التاريخ التركي**" من قبل محمود كمال باللغة العربية، بعد أن كان قد عثر عليها بين أوراق قصر يلدز. وفي عام 1960 نشرت دار "**سلك**" للطباعة والنشر في استانبول هذه الخواطر للمرة الثانية بالأحرف اللاتينية باسم "**دفتر خواطر السلطان عبد الحميد الثاني**"، مع بعض الزيادات التي أضيفت إلى سلسلة الخواطر والتي كان محمود كمال قد نشرها في المجلة المذكورة. وقد بلغ عدد صفحات هذا مجتمعا

199 صفحة. وفي عام 1975، استطاعت جريدة "**ترجمان**" بعد بحث طويل عن أصل المذكرات الكاملة أن تقوم بنشرها على حلقات يومية قام بإعدادها بالحروف التركية اللاتينية عصمت بوزداغ، وبعد إتمام نشرها كاملة في ذات الجريدة قامت بدار "**كراون**" للطباعة والنشر باستانبول عام 1975 بطبعها في كتاب بعد أن قدّم لها عصمت بوزداغ وعلّق عليها وألحق بها بعض الوثائق الهامة بحروف تركية لاتينية، وقد بلغ عدد صفحاتها 245 مع 8 صور لبعض صفحات المخطوط الذي قام بنشره و5 صور فوتوغرافية تصور عبد الحميد، وقد بلغ عدد طبعات هذه الطبعة 4 طبعات في عام واحد[34].

أما عن ترجمة مذكرات السلطان عبد الثاني، فقد كان الأستاذ الدكتور محمد حرب أول من قام بها، معتمدا في ذلك على طبعة مجلة "**عطارد**" و "**جهان كتابخانة سي**" و دار "**سلك وكروان** ". وقد قامت مجلة "**المجتمع الكويتية**" بنشر ترجمة المذكرات ابتداءا من عددها 264 الصادر في 26 أوت 1975 بمقدمة تمهيدية وبعض التعليقات كتبها الاستاذ محمد الراشد، واستمرت بعد ذلك " المجتمع" في نشرها على حلقات انتاب تتابعها بعض الاضطراب إلى أن كمل نشرها في العدد 320 الصادر في 20 أكتوبر 1976، وكانت أول ترجمة عربية لمذكرات السلطان عبد الحميد الثاني[35].

تعدّ هذه المذكرات عبارة عن مجموعة خواطر وذكريات أملاها السلطان عبد الحميد الثاني على سكرتيره الخاص "**علي محسن بك**" الذي لازمه في منفاه، وبتشجيع منه نظرا لظروفه الصحية في أول مارس عام 1333هـ/1917م، وفرغ منها في الثامن أفريل من العام نفسه. وهي تتكون من 34 يومية على مدى 41 يوما[36]، على أنّ هذه اليوميات لم تكن مرتبة زمنيا، بقدر ما جاءت حسب الأحداث المهمة من وجهة نظر صاحب المذكرات. أما عن دوافع كتابة هذه المذكرات فيبدو أن السلطان عبد الحميد أراد من خلالها تبرئة ذمته من كل الاتهامات التي نسبت إليه بعد عزله عن الحكم، تاركا الحكم على مواقفه لمن يقرأها، وهو بذلك يريح نفسه من بعض الهموم التي ظل يحملها في صدره بعد إقصائه عن مباشرة سلطاته في الحكم في أعقاب استيلاء جماعة تركيا الفتاة (الاتحاد والترقي) على السلطة في 10 جويلية 1908، ثم التخلص منه بشكل رسمي بإجباره على التنازل عن السلطة لأخيه محمد رشاد في 27 أفريل 1909 وإبعاده عن استانبول. حيث نجده في مذكراته يستعيد مواقف معينة وقعت بينه وبين بعض شخصيات الانقلاب، متسائلا عما دفع هؤلاء الذي أحسن إليهم إلى الانقلاب ضده، وماهي الاخطاء التي ارتكبها من وجهة نظرهم؛ وفي نفس الوقت يتبين لنا اعترافه الصريح بتقصيره في عدّة جوانب وهذا ما توضحه اليومية الثالثة من المذكرات 3 مارس 1917[37].

استفتح السلطان عبد الحميد الثاني مذكراته، بلوم نفسه على إهماله لكتابة مذكرات عن الفترة الماضية قبل أن تفطن لذلك. كما أوضح أنّ تدوينه لهذه المذكرات لا يخصه وحده، وإنّما يخص التاريخ أيضا[38]. وكأنّه أراد أن يكون جزءا لا يتجزأ من التاريخ العثماني، فتطلع عليه الأجيال اللاحقة وتعيد له هيبته ومكانته في ظل الافتراءات والاتهامات التي نسبت إليه. وفي هذا الخصوص؛ يلاحظ القارئ لهذه المذكرات؛ تفنيد السلطان عبد الحميد لكل التهم التي وجهت إليه بعد عزله عن الحكم، فهاهو يدافع عن حبه للعلم والعلماء، بعد أن اتهم بعداوته للعقل والعلم، وذلك من خلال ذكره للمدارس والجامعات والمساجد التي أنشأها في الدولة العثمانية طيلة حكمه، ومختلف الأوامر التي أصدرها من أجل تدريس بعض العلوم التي كان بعض العلماء يرفضونها مثل القانون والفلسفة. وهنا يتأسف لأولئك الذين ألصقوا به مثل هذه التهم، كونهم تخرجوا من المدارس التي أنشأها بنفسه، ومن الذين أرسلهم إلى أوروبا كي يتعلموا، لكنّهم لسوء الحظ لم ينهلوا سوى ما هو ضار للدولة. كما يبرر السلطان عدم تواصله مع العلوم وخاصة الأدب والتاريخ كون أنّ الحكم ومشكلاته حالت دون ذلك، وحجته في ذلك أنّه حين

فراغه من الحكم أي بعد عزله وإقامته في المنفى خص أغلب وقته للقراءة والكتابة، حتى أنّه تعلّم بعضا من اللغات كاللغة الفرنسية[39].

زيادة على ما سبق؛ أفرد السلطان عبد الحميد يوميات متنوعة ليوضح فيها طبيعة العلاقة بينه وبين جهاز الدولة، وبالأخص مع الصدور العظام، حيث أورد معلومات هامة حول أسباب تعيينه لبعض الصدور العظام ثم عزلهم، مستدلا في ذلك إلى أنّ بعضهم كان على علاقة بدول أجنبية ضد الحكم العثماني وسلطانه، مثل مدحت باشا[40] الذي لجأ إلى المساعدة الإنجليزية بعد أن تم اتهامه بقتل السلطان عبد العزيز، فاحتجت إنجلترا على عزل مدحت[41]. ومن هؤلاء أيضا نامق كمال[42]؛ الذي كان . حسب السلطان . بعيش حياة مزدوجة حسب المزاج، فلا هو دائم العمل مع الدول الأجنبية، ولا هو متحيز لدولته وحكمها. ضف إلى ذلك؛ بعض رجال الدولة الذين كانوا أعضاء في المحافل الماسونية الفرنسية والإيطالية والألمانية والإنجليزية، وفي مقدمتهم أعضاء " تركيا الفتاة" في مونستير بمقدونيا وكانوا مرتبطين بالمحفل الماسوني الإنجليزي ويتلقون معونات مادية منهم، وأما فرع الجمعية في تسالونيك فقد وقع تحت سيطرة الألمان وهو الفرع الذي قاد الانقلاب ضد عبد الحميد في 10 جويلية 1908[43].

في المقابل ينفي السلطان عبد الحميد الثاني ما كان يتردد من أقاويل تفسر دوره في التخلص من بعض رجال الدولة وفي مقدمتهم مدحت باشا، حيث استنكر التهمة الموجهة إليه بأنّه حرض من يقتله في منفاه في الحجاز[44]. في المقابل؛ يعترف السلطان بأنّه كان ضد الأفكار الغربية التي جاء بها مدحت باشا والمتمثلة بشكل خاص في الديموقراطية والدستور، كما يعترف بأنّه نقض وعده معه بأن عطل الدستور بعد أن قبله وفقا لمقترح مدحت، ولكنه يؤكد على أنّه ضد تطبيق الدستور في بلاده وليس ضد من اقترحه، ذلك أن الدستور من وجهة نظر السلطان مجرد تقليد غربي وتطبيقه في السلطنة يعد محاكاة شكلية دون توفر الشروط المناسبة والظروف الموضوعية لهذا التقليد. وفي هذا يقول: إن أقراص السلفا لا تصلح لكل مريض ... وكل مريض حسب بنيته، ويؤكد السلطان عبد الحميد أيضا أنّه لم يكن وحده ضد الدستور فقد كانت هناك صفوة من كبار رجال الدولة تعارض هذا الأمر[45]. وفي هذا الخصوص، أشار السلطان عبد الحميد إلى أن دول الغرب أرادت القضاء على دولته باسم الاصلاح... فكان الإنجليز مثلا ومعهم الفرنسيون يريدون أن يوجد في البرلمان(مجلس المبعوثان) نواب روم وأرمن وبلغار وصرب وعرب. وهنا يتساءل مستغربا: هل في البرلمان الإنجليزي نائب هندي أو إفريقي أو مصري... وهل في البرلمان الفرنسي نائب جزائري ..." ويقول إن الأخذ بالدستور في دولة تجمع أشتاتا يعني موت أهل البلد الأصليين[46]. وظل مؤمنا باعتقاده بأنّ الدستور لا يصلح في بلاده لأن الأمة غير ناضجة له أو غير مهيئة له.

والأكثر من ذلك أنه بعد ابتعاد السلطان عبد الحميد عن الحكم يقول إنه كان يظن طوال حكمه أن المشروطية غير مفيدة، ثم أصبح مقتنعا بضررها وهو يكتب مذكراته. ويقول في سخرية: هل تغير الموقف في بلاده بعد إعادة الدستور عام 1909... هل انخفضت ديون الدولة ...هل كثرت الطرق والموانئ والمدارس... هل تناقصت الوفيات وزادت المواليد ... إن الدواء الناجح يصبح سما زعافا إذا كان في يد غير الاطباء أو في يد من لا يعرفون أصول استعماله. ونراه يبرر في مذكراته ملاحقة خصومه الذين أشاعوا فكرة الدستور بعد ان رأوه في إنجلترا دون أن يتأملوا عدم وجود عضو هندي في البرلمان الانجليزي ومن ثم وقف ضدهم حتى لا يضروا الاجيال التالية، ومن هنا كانت الرقابة على الأفكار لمنع تقديم السم أي العادات الغربية من شرب الخمر ومراقصة النساء بدلا من الدواء.

في موضع آخر من المذكرات يعترف السلطان عبد الحميد بعجز دولته ومواجهة حركات التمرد التي اندلعت في بلاد البلقان ضد الحكم العثماني، ذلك أن الجيش تبددت قوته وتفرقت قواته بعد الحرب مع

روسيا في 1839، فضلا عن أن الخزينة كانت خاوية. كما يشرح لماذا لم يلجأ للحرب دفاعا عن تونس في مواجهة احتلال فرنسا لها عام 1881، وعن مصر أما احتلال إنجلترا لها في 1882 فيقول:" إنّه لو فعل ذلك لخسر سوريا في حالة الدفاع عن تونس، وكان سيخسر بالتأكيد فلسطين والعراق، مبررا ذلك: بأن الحروب التي تنتهي بالنصر مثل التي تنتهي بالهزيمة...ترهق الأمة.."[47].

وفي المذكرات إشارات متفرقة إلى مشكلة الأرمن، حيث اعتبر السلطان عبد الحميد الأرمن عثمانيون وينتمون إلى الدولة العثمانية وحكمها، وسبب إثارتهم ضده لم يكن من خاطرهم، وإنّما يعود إلى روسيا التي استخدمتهم لتسهيل استيلائهم على بلغاريا وقد انغمسوا في الخطة دون وعي. بالإضافة إلى اشتراك الإنجليز والفرنسيون في هذه الخطة، ليكون لهم كلمة في موضوع انفصال البلغار. وهذا ما يفسر في رأي عبد الحميد تشكيل أول جمعية ثورية أرمينية في باريس وشعارها حماية الأرمن الكاثوليك في الوقت الذي تولت روسيا حماية الأرمن الأرثوذكس[48]. وهذا يبين كما لاحظ عبد الحميد منهج الغرب في تفكيك أواصر الدولة العثمانية باستخدام الاختلافات الطائفية والمذهبية. وفي هذا الخصوص يورد لنا السلطان معلومات حول جماعة تركيا الفتاة التي تعاملت في الخارج مع اعضاء المنظمات والجمعيات الأرمينية، بل وحتى تعاونهم مع الدول الكبرى لتفكيك اوصال الدولة العثمانية، مشيرا إلى انّ هؤلاء كانوا تقريبا أعضاءا في المحافل الماسونية الفرنسية والإيطالية والألمانية والإنجليزية[49].

يشير السلطان عبد الحميد في مذكراته إلى نقطة مهمة جدا في التاريخ العثماني، إذ يروي كيف أن الإنجليز ومن بعدهم الألمان مكروا عليه وطلبوا منه الموافقة على قيامهم بالحفر في أراضي العراق والحجاز وسوريا للتنقيب عن الآثار، بينما كانوا يستهدفون التنقيب عن البترول، ولما اكتشف ذلك وحتى لا يقع أسير الإنجليز او الألمان فقد طلب من الامريكيين القيام بالتنقيب عن البترول لكنهم رفضوا وقالوا: عندنا ما يكفي ... وإن كثرة البترول يرخص ثمنه ...فطلب من اليابان القيام بالحفر ووافقت لكنه ترك الحكم ولم يتابع ما حدث[50].

من الأمور التي صرح بها السلطان عبد الحميد الثاني في مذكراته ألاّ وهي سياسته السرية للحفاظ على الدولة العثمانية طيلة 33 سنة من حكمه، والمتمثلة في خلق تنافس وصراع بين الدول الأوروبية من أجل ضمان السلام والهدوء والاستقرار لدولته، والابتعاد عن فرصة تمزيق وحدة المسلمين في الدولة وتقسيم ممتلكاتها، وبالتالي استعادة مكانة الدولة العثمانية في مصاف الدول العظمى[51].

وفي آخر المذكرات يستعيد عبد الحميد وقائع عزله وكيف تمت معاملته بطريقة مهينة من قبل أولئك العسكريين المنقلبين ثم نفيه، ومحاولة قتله أكثر من مرة وسجنه داخل قصره هو وأسرته، وقد برر عدم مقاومته وقال إنه كان بإمكانه الفرار خارج البلاد وهناك يقود معركة عودته لكنه رفض التدني لهذا المستوى. وكيف انتهى الأمر باستسلامه لعازليه حيث منعوه من الإقامة باستانبول ووضعوه في قصر لأحد اليهود في سالونيك لا توجد فيه وسائل للراحة... حياة شاقة تحت تهديد القتل، بل لقد حدثت محاولة لاغتياله بالرصاص وهو في شرفة هذا القصر، فضلا عن حرمانه وأسرته من الصحف، وكيف اضطره الاتحاديون للتنازل عن ثروته ومدخراته في بنوك سويسرا للدولة وللجيش[52].

ليس هذا وحسب؛ بل حاول السلطان عبد الحميد تبيان الآثار السلبية لحكم جمعية الاتحاد والترقي، وعدم مقدرتهم على الحفاظ على الدولة، متأسفا على الحالة التي وصلت إليها هذه الأخيرة نتيجة للأطماع الأوروبية التي استفحل أمرها مع سيطرة الإتحاد والترقي على أمور الدولة، بالإضافة إلى الحركات الانفصالية القومية التي حصلت على مرادها بعد عزل السلطان عن الحكم، فساهمت في تفكيك الدولة العثمانية. فضلا عن الوضع المالي المتدهور نتيجة لسوء التصرف

من قبل بعض رجال الدولة. دون أن يغفل السلطان عبد الحميد الدسائس والمؤامرات التي كانت تحيكها بعض شخصيات الدولة والتي تشبعت بالأفكار الغربية، وبعد الناس عن الدين وتوقهم إلى النمط الغربي وانتشار البدع والخرافات والجهل[53].

3- القيمة التاريخية لمذكرات السلطان عبد الحميد الثاني

تتوقف أهمية المذكرات عادة على عوامل عديدة متعلقة بصاحبها وبالظروف التي كتب فيها، ولا يمكن اعتبارها مصدرا لكتابة التاريخ إلاّ بعد نظرة تحليلية فاحصة، يتم من خلالها الاحاطة الدقيقة بشخصية كاتبها وموقعه ودوره في الاحداث التي يتحدث عنها، وبالتالي مدى اطلاعه على تفاصيل تلك الأحداث ومدى التزامه بالموضوعية والحياد في سرد مذكراته وهي شروط لا تتحقق نادرا. وبناءا على ذلك؛ فإنّه يمكن اعتبار مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني بجزئيها، أحد المصادر الأساسية للإطلاع على السيرة الذاتية لكاتبها وخاصة للتثبت من الوقائع التي عايشها وسردها. ذلك لأنّ السلطان عبد الحميد، جمع في مذكراته بين الإنسانية ومنصبه السياسي في الدولة، ليرصد الاحداث التاريخية التي عاصرها والتي تفاعل معها، سواء في الفترة التي حكم فيها أو بعد عزله عن الحكم، موضحا أثرها في سياسته الداخلية والخارجية، وفي الوضعية العامة للدولة العثمانية. إذ كان يسرد الأحداث التي عايشها، مبرزا منها موقفه، فتارة يعترف بأخطائه وتقصيره في كثير من النواحي، وتارة أخرى يقف صامدا أمام معتقداته ومواقفه فيظهرها كماهي، وفي كثير من الأحيان كان يتركها للقارئ من الأجيال اللاحقة لكي يحكم عليها. كما أنّ السلطان عبد الحميد ظل محافظا على مواقفه وأرائه، فالتي عرضها خلال فترة حكمه، والتي أبرزها في " مذكراتي السياسية"، هي نفسها التي طرحها ضمن مذكراته التي كتبها بعد عزله عن الحكم.

علاوة على ذلك؛ ترجع أهمية هذه المذكرات إلى تفنيدها لتلك الاتهامات والافتراءات التي نسبت إلى السلطان عبد الحميد الثاني وعصره لا سيما بعد أن تم عزله عن الحكم، إذ طالما صوره أعداءه من الأعضاء جمعية الاتحاد والترقي والأرمن واليهود والأوروبيين، على أنّه حاكم ظالم ومستبد وسفاح مع أنه عرّف بتقواه وإخلاصه، ليسوغوا المؤامرات الصليبية والماسونية التي عزلته وقضت على الدولة العثمانية التي ظلت صامدة إلى ذلك الحين. فالمتصفح لهذه المذكرات؛ يلاحظ مدى حرص السلطان عبد الحميد على الدفاع عن سياسته الداخلية والخارجية التي انتهجها من أجل الحفاظ على تماسك الدولة العثمانية، بل واستعادة مكانتها في مصاف الدول العظمى. كما تتوضح أهداف السلطان من خلال كتابته لهذه المذكرات على أنّه أراد منها إبراء ذمته بعد أن سقطت الخلافة الاسلامية من جهة، والتحذير من المؤامرة الكبرى التي تعرّض لها العالم الإسلامي من اليهود والصليبيين من جهة أخرى.

4- النتائج والتوصيات

مجملا؛ يمكن القول بأنّ مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني من أهم المصادر التاريخية للفترة العثمانية، ولا يمكن لأي باحث في هذه الحقبة الاستغناء عنها، فهي تزودنا بحقائق تاريخية هامة عن المرحلة الأخيرة من عمر الدولة العثمانية والتي اتسمت في مجملها بالاحتضار. ولكن رغم تلك الأهمية، إلاّ أنّه يجب على الباحث والمؤرخ ألاّ ينساق وراء ما جاء في المذكرات بشكل مطلق حتى يغلب عليه التحيز، وإنّما عليه أن يتبع صفات المؤرخ وشروطه القائمة على التحليل والتمحيص، حتى يصل إلى الحقائق في شكلها الطبيعي، فلا يكون متعصبا ولا منفلتا، ويحاول قدر المستطاع أن يتسم بالموضوعية، من خلال مقارنته ومقاربته لما جاء في المذكرات مع مصادر أخرى في تلك الحقبة من الزمن كالوثائق الرسمية من تقارير ومراسلات وغيرها التي قد تثبت أو تفند الحقائق.

5- الهوامش

(1) من أهم الدراسات المعاصرة للسلطان عبد الحميد الثاني والتي وصفت بشكل دقيق عاداته وأخلاقه وتفاصيل حياته الشخصية، ابنته عائشة عثمان أوغلى في مذكراتها. أنظر: الأميرة

عائشة عثمان أوغلي، **والدي السلطان عبد الحميد الثاني**، ترجمة: صالح سعداوي صالح، ط 1، دار البشير، الأردن، 1984.

[2] محمد حرب، **السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار**، ط 1، دار القلم، دمشق، 1990، ص ص 33-34.

[3] لتفاصيل أكثر حول الأوضاع الداخلية والخارجية للدولة العثمانية خلال فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني:

- أورخان محمد علي، **السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده**، ط 4، بيوك جاملجة، اسطنبول، 2008
- نعيمة عبد الله بن دهيش، **"عصر السلطان عبد الحميد الثاني وأسباب سقوط الدولة العثمانية"**، مجلة المؤرخ العربي، العدد 17، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة.

[4] **الاتحاد والترقي**: أول حزب سياسي في الدولة العثمانية، نادى بمفاهيم جديدة مثل الوطن والدستور والحرية، وقد ضمت في صفوفها مجموعة من الشباب المثقفين الأتراك، بالإضافة إلى يهود الدونمة. وكانت الغاية منها الإطاحة بحكم السلطان عبد الحميد. أنظر: نعيمة عبد الله بن دهيش، المرجع السابق، ص 286.

[5] **الصهيونية**: هي أحد التيارات القومية والتوسعية التي ظهرت خلال القرن التاسع عشر، قم تطورت كإيديولوجية يهودية تحت زعامة ثيودور هرتزل وتحولت إلى قضية عالمية، وأصبح الهدف الأساسي للصهيونية إقامة دولة يهودية مستقلة في فلسطين. أنظر: سليم رجب محمد، **السلطان عبد الحميد الثاني ودوره في مواجهة الصهيونية**، جامعة عمر المختار، ليبيا، ص 2012.

[6] سليمان قوجه باش، **السلطان عبد الحميد الثاني شخصيته وسيادته**، ترجمة عبد الله أحمد ابراهيم، المركز القومي للترجمة، 2008، ص ص 57-122.

[7] للتوسع في موضوع الإصلاحات التي اعتمدها السلطان عبد الحميد الثاني أنظر: سيف الله آرباجي، **السلطان عبد الثاني مشاريعه الإصلاحية وإنجازاته الحضارية**، ط 1، دار النيل، القاهرة، 2011.

[8] سليمان قوجه باش، المرجع نفسه، ص ص 617-657.

[9] أنظر تقديم محمد حرب في مذكرات السلطان، عبد الحميد الثاني، عبد الحميد الثاني، **مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار**، تقديم وترجمة: محمد حرب، ط 3، دار القلم، دمشق، 1991.

[10] عبد الحميد الثاني، **السلطان عبد الحميد الثاني مذكراتي السياسية 1891-1908**، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1977.

[11] عبد الحميد الثاني، **السلطان عبد الحميد الثاني مذكراتي السياسية 1891 -1908**، ط 5، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986، ص ص 25-107.

[12] عبد الحميد الثاني، **مذكراتي السياسية...**، المصدر السابق، ص ص 32-33 ، 104-105 .

[13] نفسه، ص 107 .

[14] نفسه، ص 67-68، 77، 81-84، 105-106 .

[15] من الدراسات المعاصرة التي فصلت في موضوع الجامعة الإسلامية والسلطان عبد الحميد الثاني نذكر:

- إحسان ثريا صرما، **السلطان عبد الحميد الثاني وسياسة الوحدة الإسلامية**، ترجمة: كمال أحمد خوجة، ط 1، مطبعة هاوار، العراق، 2014.
- موفق بني المرجه، **صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الاسلامية**، مؤسسة صقر الخليج، الكويت، 1984.
- محمد قربان نيازملا، **السلطان عبد الحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الاسلامية**، ط 1، مكتبة المنارة، المملكة العربية السعودية، 1988.

[16] عبد الحميد الثاني، **مذكراتي السياسية...**، المرجع نفسه، ص ص 80-81.

[17] بعد أن تمكن ثيودور هرتزل زعيم الحركة الصهيونية من أن يتحصل على تأييد أوروبي للمسألة اليهودية، أخذ في إقناع السلطان عبد الحميد الثاني في إقامة دولة يهودية في فلسطين لكن السلطان رفض ذلك بشدة أنظر: سليم رجب محمد، المرجع السابق.

[18] للتوسع في موضوع القضية الأرمينية أنظر: محمد رفعت الإمام، **القضية الأرمينية في الدولة العثمانية 1878 -1923**، القاهرة، 2002.

[19] عبد الحميد الثاني، **مذكراتي السياسية...**، المصدر السابق، ص ص 111-112 .

[20] نفسه، ص ص 133، 159 .

[21] نفسه، ص 124 .

[22] نفسه، ص 165.

[23] نفسه، ص ص 166-167 .

[24] نفسه، ص ص 174-175 .

[25] عبد الحميد الثاني، **مذكراتي السياسية...**، المصدر السابق، ص ص 175-177.

[26] نفسه، ص 176-177.

[27] نفسه، ص 165

[28] نفسه، ص 166

[29] نفسه، ص ص 162- 195 .

(30) عبد الحميد الثاني، **مذكراتي السياسية...**، المصدر السابق، ص ص 198-201.

(31) نفسه، ص ص 209، 216 .

(32) نفسه، ص ص 210-221.

(33) عبد الحميد الثاني، **مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني ...**، المصدر السابق، ص 31 .

(34) نفسه، ص ص 31-32 .

(35) نفسه، ص ص 32-33.

(36) أنظر فهرس المذكرات .

(37) عبد الحميد الثاني، **مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني ...**، المصدر السابق، ص ص 72، 73 .

(38) نفسه، ص ص 61-62 .

(39) نفسه، ص ص 64-65 .

(40) **مدحت باشا (1822 -1885):** رجل سياسي وإصلاحي ذو توجه موالي للغرب، تولى مناصب عديدة في الدولة العثمانية: منها: ولاية بغدادا ودمشق وسالونيك، الصدارة العظمى، وزارة العدل. يعتبر مدحت باشا من أشهر الإصلاحيين العثمانيين الذين تبنوا فكرة الإصلاح على الطريقة الأوروبية ولقب بـ "أبي الدستور" و"أبي الأحرار" حيث سعى إلى إعلان القانون الأساسي وظهور البرلمان العثماني عام 1876م . تمت محاكمته بأمر من السلطان عبد الحميد الثاني بتهمة الضلوع في اغتيال عمه السلطان عبد العزيز وحكم عليه بالإعدام إلا إن الحكم خفف إلى المؤبد` ونفي إلى الطائف حيث مات فيها مخنوقا في ظروف غامضة عام 1884م. انظرعنصر التراجم الذي أورده محمد حرب في مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، ص ص 283-284.

(41) عبد الحميد الثاني، **مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني ...**، المصدر نفسه، ص ص 108، 111.

(42) **نامق كمال (1840-1888):** وهو أديب عثماني، وصحفي، ورجل دولة، وهو من رواد التيار القومي وأيضاً من مثقفي عصر التنظيمات الذي ينتمى لمفاهيم حب الوطن، والحرية، والقومية. وهى مفاهيم كانت جديدة على الحياة الفكرية والأدبية التركية. انظر: عنصر التراجم الذي أورده محمد حرب في مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، ص 280-281 .

(43) عبد الحميد الثاني، **مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني ...**، المصدر نفسه، ص 115.

(44) نفسه، ص 78 .

(45) نفسه، ص 81 .

(46) نفسه، ص

(47) عبد الحميد الثاني، **مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني ...**، المصدر السابق، ص 97 .

(48) نفسه، ص ص 120، 125، 127 .

(49) نفسه، ص 128 .

(50) نفسه، ص ص 152- 157 .

(51) نفسه، ص 138.

(52) عبد الحميد الثاني، **مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني ...**، المصدر نفسه، ص 211، 215 .

(53) نفسه، ص ص 220، 221، 245، 253 .

6- قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1. عبد الحميد الثاني، **مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار**، تقديم وترجمة: محمد حرب، ط 3، دار القلم، دمشق، 1991.
2. عبد الحميد الثاني، **السلطان عبد الحميد الثاني مذكراتي السياسية 1891-1908**، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1977.

   عبد الحميد الثاني، **السلطان عبد الحميد الثاني مذكراتي السياسية 1891 -1908**، ط 5، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986.
3. عثمان أوغلي عائشة، **والدي السلطان عبد الحميد الثاني**، ترجمة: صالح سعداوي صالح، ط 1، دار البشير، الأردن، 1984.

ثانيا: المراجع

1. آرباجي سيف الله، **السلطان عبد الثاني مشاريعه الإصلاحية وإنجازاته الحضارية**، ط 1، دار النيل، القاهرة، 2011.
2. الإمام محمد رفعت، **القضية الأرمينية في الدولة العثمانية 1878 -1923**، القاهرة، 2002.
3. بني المرجه موفق، **صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الاسلامية**، مؤسسة صقر الخليج، الكويت، 1984.
4. حرب محمد، **السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار**، ط 1، دار القلم، دمشق، 1990
5. صرما إحسان ثريا، **السلطان عبد الحميد الثاني وسياسة الوحدة الإسلامية**، ترجمة: كمال أحمد خوجة، ط 1، مطبعة هاوار، العراق، 2014.
6. عبد الله بن دهيش نعيمة، **"عصر السلطان عبد الحميد الثاني وأسباب سقوط الدولة العثمانية"**، مجلة المؤرخ العربي، العدد 17، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة.

7. قوجه باش سليمان، **السلطان عبد الحميد الثاني شخصيته وسيادته**، ترجمة عبد الله أحمد ابراهيم، المركز القومي للترجمة، 2008.
8. محمد سليم رجب، **السلطان عبد الحميد الثاني ودوره في مواجهة الصهيونية**، جامعة عمر المختار، ليبيا، ص 2012.
9. محمد علي أورخان، **السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده**، ط 4، بيوك جاملجة، اسطنبول، 2008.
نيازملا محمد قربان، **السلطان عبد الحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الاسلامية**، ط 1، مكتبة المنارة، المملكة العربية السعودية، 1988.